العرب
الأربعاء 2021/04/28
السنة 43 العدد 12044

فنان لبناني يجعل من الملل أسلوب حياة

يزن حلواني يعلن قطيعته مع الغرافيتي السياحي ليرسم لبنانه الجريح

«فندق بيروت واعتلاج عادي» معرض يمثّل بداية مسار تشكيلي جديد للفنان اللبناني يزن حلواني الذي أراد من خلاله أن يسرد أوجاع وطنه عبر لوحات إكريليكية معبّرة، بعد أن رسم لسنوات رموز وطنه الفنية على الجدران البيروتية، فكأنه يشكّل من الغرافيتي سردية سياحية تنتصر لكل جميل وأصيل في بلده، في حين يبثّ لوحاته آلامه الداخلية ولومه الشخصي لوطن بات مهجّرا لأبنائه.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

ارتبط اسم الفنان اللبناني الشاب يزن حلواني بجداريات رسمها في مختلف المناطق البيروتية، منها بورتريهات تخلّد أسماء لبنانية لامعة كفيروز وصباح ووديع الصافي، وشخصيات فكرية وشعرية مؤثرة كالشاعر الفلسطيني محمود درويش. ولكنه اليوم ينتقل من رسوم الشارع إلى اللوحات المُنجزة بمادة الإكريليك.

وليس من الغريب أن ينتقل فنان لبناني كحلواني من رسم الجداريات في الشوارع البيروتية إلى العمل الفني المُخصّص للعرض في الصالات الفنية. وإن كان المعرض الفردي الأول الذي قدّمه في صالة "رميل" تحت عنوان "جمهورية الموز" هو أقرب إلى فن الغرافيتي رغم كونه موضوعا ضمن صالة فنية، فإن معرضه هذا في صالة "أجيال" هو معرض أعلن فيه شبه قطيعة مع فن الغرافيتي لناحية كونه ليس مرسوما على الجدران ولناحية تعبيريته المباشرة.

من بيروت وإليها

منذ ولادة بصمته الخاصة في فن الغرافيتي كان من شبه المؤكّد بأنّ يزن حلواني سيتحوّل يوما مّا إلى عالم التشكيل الفني أو على الأقل سيُمارسه بموازاة غير عادلة مع فنون الشارع لصالح الفن التشكيلي.

وقد يعود سبب ذلك التحوّل إلى عدم قدرة أو بعبارة أدقّ عدم تمكّن فن الشارع من تلبية حاجة الفنان لتقديم طروحات بصرية متشابكة تحمل مواقف معنوية تدخل إلى عمق المشاهد الحياتية بكل ما فيها من تعقيدات وتناقضات.

وتجيء لوحاته الجديدة تحت عنوان "فندق بيروت واعتلاج عادي" وكأن الفنان قد انتهى للتوّ من العمل عليها (وقد بدأ برسمها قبل بداية ظاهرة مغادرة لبنان الأخيرة بسبب الأوضاع)، إذ تتمحور حول الغوص في فكرة المطار، وليس مجرد رسم موفّق لشكل مدرج الطائرات في أيام شبعت من زخات المطر، كما هي ليست مجرد رسم لغرف المغادرة الباردة.

وتتمحور لوحاته أيضا حول فكرة الهوية، وليس حول ما يبدو للوهلة الأولى على أنه تصوير لـ"مسافرين" ينتظرون موعد رحلتهم الجوية بملل أو يتوجهون بتعب نحو بوابات الإقلاع.

> المقابس الكهربائية تأتي في لوحات حلواني تعبيرا صريحا عن انقطاع التواصل مع الآخر، وتظهيرا للكولونيالية الأكثر تخفيا ومراوغة

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفنان في أعماله الجديدة لم يخرج من مزاجه اللوني ولا عن خطه في إيصال الأفكار من خلال البصريات، كما لم يغادر "الجدران" بل تمظهرت هذه الأخيرة في خشونتها وتشققاتها في خلفيات اللوحة وأرضياتها حتى تكاد تشتم رائحة الإسمنت وهو لم يزل حديث السكب.

المشاهد التي رسمها الفنان كأنها صور فوتوغرافية بالأسود والأبيض ولون البنفسج الذاوي لمشاهد عادية ويومية في المطار، هي "مهداة" من مُتأمل خارجي ومتروّ قادر على أن يفكّك ما تعنيه تلك المشاهد، إلى بيروت.

وفي إهداء الفنان مشاهد من بيروت إلى بيروت ربما أراد حلواني التقرّب منها وإعلامها، بما تيسّر، أنه مُدرك لما يجول في خاطرها وما تحفره في يومياتها.

أما ما يُحفر في يومياتها ويتراكم ويتداخل فهو تجليات لفوضى نفسية ووجودية عارمة أكدّ الفنان على وجودها في العنوان المُكثف الذي أطلقه على معرضه "فندق بيروت واعتلاج عادي".

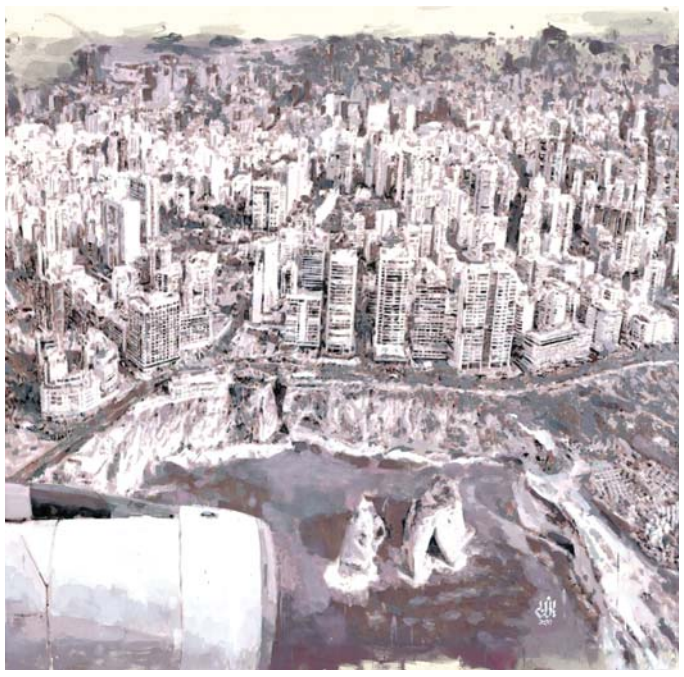

أسفار وأثقال فرضها وضع رديء

فبيروت تصبح سنة بعد سنة للكثيرين من أهلها أو القاطنين فيها مُجرد "فندق" أو محطة وليست بمستقر فيه أدنى شروط الاستمرارية. أما استخدام كلمة "الاعتلاج" العلمية التي يمكن أن تحمل معاني كثيرة وغير متضاربة البتّة كفوضى ولغط، واختلال في التوازن، والطاقة الحركية واعتلال حراري ووظائف الموجة.. الخ وذكرها، أي كلمة اعتلاج، كملحق لكلمة "عادي" فهو في حد ذاته إفصاح عن مضمون المعرض بشكل عام.

توثيق الاشتياق

يزن حلواني المتأمل الخارجي لأحوال بيروت يبدو في أعماله التي تصوّر "العادي جدا" وكأنه يقول للمدينة "أرى عبرك العابر والهش وأرى الرجاء المتوتر والحزن العادي جدا، وأرى الاشتياق للآخر وللأشياء التي تحمّلت ذاكرتنا الشخصية. وأرى الملل كيف يصبح أسلوبا للحياة وكيف تصبح الغربة مساحة ذات حميمية غرائبية تتجاور فيها وجوه أسماء وهامات دون أقدار مشتركة".

يذكّر الكُتيّب المرافق للمعرض الذي واظب صاحب الصالة على طباعته مع كل إطلاق معرض على الرغم من فظاعة الوضع الاقتصادي في البلاد، أن معرض الفنان مبنيّ على ثلاثة محاور متداخلة.

الأول تظهر فيه لوحات للمطار والثاني لوحات للمسافرين وحقائبهم أما الثالث فيضمّ عدة لوحات بحجم كبير، كباقي اللوحات، رسم فيها الفنان قطعا عديدة هي ما يُسمى بـ"المقابس الكهربائية" المختلفة باختلاف البلدان التي تستخدمها تاريخيا وحاليا.

في كل مجموعة من اللوحات يأخذنا الفنان إلى ما هو أعمق ممّا نشاهد في المستوى الأول منها. المطار هو اللامكان، إذا صحّ التعبير، والمقابس الكهربائية هي "التشبيك" الوقتي وانقطاع التواصل مع الآخر، وهي تظهير للكولونيالية السابقة والجديدة الأكثر تخفيا ومراوغة.

أما المسافرون فهم الضاجون بتناقضاتهم، وربما من المجحف جدا الكلام عن مسافري يزن حلواني دون أن نأتي على ذكر القصيدة الهائلة للشاعر المعاصر وديع سعادة التي تحمل عنوان "غُبار" والتي ربما هي الأمد بقدرتها على الكشف عن جزء كبير ممّا تُشعرنا به لوحات الفنان اللبناني. يستحيل إيراد كل القصيدة هنا، وهذا مقتطف رائع منها "العابرون سريعا جميلون. لا يتركون ثقلَ ظلّ. ربما غبارا قليلا، سرعان ما يختفي. الأكثر جمالا بيننا، المتخلّي عن حضوره. التارك فسحة نظيفة بشغور مقعده. جمالا في الهواء بغياب صوته.. متخلّون عن الأمكنة، والأوطان، والآباء، والبنين.. ثمّة رقص على الدرب لا يراه الراكضون. رقص يعرفه الجالسون. ثمة رقص خفيّ في الجلوس. الساكنون يسمعون وحدهم الأغنية. الضّاجون طرشى ضجيجهم".

> اللوحات الجديدة تتمحور حول فكرة المطار كرمز للهوية، وليس حول ما يبدو مجرد رسم موفّق لغرف المغادرة الباردة

ويزن حلواني من جيل ما بعد الحرب اللبنانية. تخرّج في الجامعة الأميركية في بيروت بشهادة هندسة الكومبيوتر والمعلومات ثم تابع دراسته الأكاديمية في جامعة هارفارد لإدارة الأعمال. شارك في العديد من المعارض الجماعية داخل لبنان وخارجه كالأردن وألمانيا وفرنسا وساحل العاج والمملكة المتحدة.

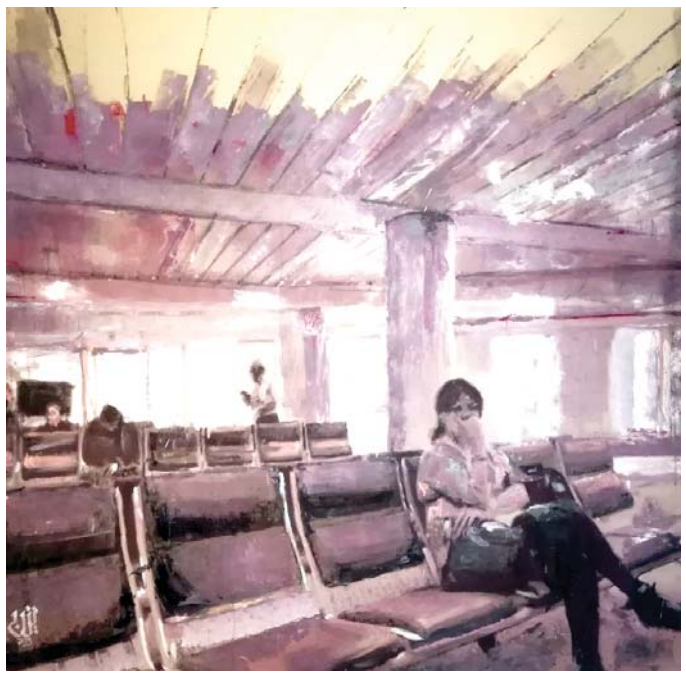

تعبيرية مباشرة عن آلام الغربة والهجر

المغربية ليلى بن حليمة تعبّر عن قضايا المرأة بمفردات أمازيغية

تستند تجربة الفنانة المغربية ليلى بن حليمة منذ بداياتها في تسعينات القرن الماضي وحتى معرضها الأخير المعنون بـ«من العجيب إلى الرائع» إلى التراث الأمازيغي والأفريقي بشكل عام، سواء في أعمالها الأولى التي نزعت نحو التجريد أو في بحثها اللاحق عن توظيف الرموز والكتابات في عدد من لوحاتها التي تجعل من قضايا المرأة محورها الأساسي.

تطوان (المغرب) – يتواصل حتى الخامس عشر من شهر مايو القادم برواق المركز السوسيو – ثقافي بمدينة تطوان المغربية معرض "من العجيب إلى الرائع" للفنانة التشكيلية المغربية ليلى بن حليمة التي تستعرض من خلاله براءة الفكرة المجردة، في إحالة مباشرة على الاشتغال بريشة متمكّنة، تستطيع تصريف خطابها الإبداعي بناء على ترجمة أحاسيسها وأحاسيس اليومي الذي يعيشه المغاربة دون أن يلتفتوا إليه.

وقالت الفنانة التشكيلية المغربية إن اللوحات المعروضة تعتبر تتويجا لعمل انطلق منذ حوالي ثلاث سنوات، وأضافت "أعمالي تهتم باللاوعي الذي يشكّل بالنسبة إلي مصدر العديد من القدرات التي لا نستعملها. اللاوعي يمكننا من اكتشاف الماضي المنسي، وعيش الحاضر الآخذ إلى زوال، ورؤية المستقبل بعيون كلها أمل".

واعتبرت بن حليمة أن أعمالها الأخيرة مكّنتها من معرفة ذاتها بشكل أفضل، والاهتمام باختياراتها، ومعرفة قراراتها ومشاعرها، مضيفة "إلى جانب قراءة نفسي من خلال الآخرين، لأن لكل منا ماضيا مشتركا، والتاريخ نفسه يجمعنا". وهي في ذلك يحدوها أمل في أن تتمكّن أعمالها الأخيرة من أسر اهتمام الزائر ودعوته إلى التأمل في جوهره ولا وعيه ومحيطه وواقعه وواقع مجتمعه، ومساعدته على الشعور بالبهجة والسكينة والاقتراب أكثر من حل كل مشكلاته النفسية والاجتماعية العالقة.

وأضافت الفنانة المغربية أنها تشتغل في جل أعمالها على القماش أو الورق المقوى بتقنية مختلطة، فيما بعض الأعمال تُبدعها باستعمال الصباغة الزيتية، مُعربة عن الأمل في أن تتمكّن من عرض إبداعاتها بمدن أخرى بالمغرب، لاسيما بالرباط والدار البيضاء.

ومن جانبه أكّد المسؤول عن المركز السوسيو – ثقافي لمؤسسة محمد السادس بتطوان عماد العطار أن هذا المعرض الثاني من نوعه منذ تفشي جائحة فايروس كورونا المستجد، وهو يروم المساهمة في الديناميكية الثقافية بمدينة تطوان، وتعزيز سلسلة المعارض المنظمة بهذا الفضاء، لافتا إلى أن معرض "من العجيب إلى الرائع" يدعو الزوار إلى سفر فني استثنائي في عالم سحري، من خلال لوحات أبدعتها أنامل تشكيلية شغوفة بالفن والتجريب.

نسوة يتهادين في أجواء مستعارة من الرقص الصوفي

وكتبت الناقدة الفنية ليلى بالحاج في الورقة التقديمية للمعرض أن "فن ليلى بن حليمة يعبّر عن كل ما لديها من تجرّد، لوحاتها هي كيانات فوق طبيعية تولد من أثر الريشة التي تصبح أداة في خدمة هذه الكيانات التي تعّبر من خلالها"، منوّهة بأن "لوحات بن حليمة هي أيضا مجموعة أسئلة وألغاز يتعيّن حلها، هي نظرات تخترق جانبنا الغرائبي وتدعونا إلى العبور للجهة الأخرى من المرآة، في بُعد حدوده الألوان ومفعم بالطاقة الإيجابية".

وعبر لوحات بن حليمة الخمس عشرة تتجمّع وجوه الرجال والنساء والحيوانات والسماء والبحر والأرض، حيث تظهر في إحدى أعمالها أجساد نساء يرقصن على خلفية ملوّنة منقوش عليها بحروف التيفيناغ (الأبجدية الأمازيغية) في محاكاة لنقوش قديمة، حيث السواد يتركّز في وسط اللوحة تحيط به تدرّجات الأزرق متداخلا مع الأحمر والأصفر والبرتقالي، فيما تبرز الكتابة بلون أبيض تشتبك مع الجسد ليبدو أنه جزء منه أو منسجم معه في الإيقاع أو الحركة.

جموح وتحرّر

وللمرأة حضور قوي في لوحات بن حليمة، في تأملها أو انتظارها أو استعراض زينتها، أو وهي تتهادى في أجواء مستعارة من الرقص الصوفي، حيث ترفع اليدين في هيئة الدعاء أو المناداة.

وعن هذا الحضور في لوحاتها تقول "المرأة عندي ترمز إلى الفضيلة والتحرّر، وبعد رفعها للقيود التي تفرضها نظرة المجتمع إليها، تكون قد تجاوزت الحواجز التي تمنعها من المضي قدما في الحياة، ونيل مكانتها التي تستحقها عن جدارة".

هكذا تمارس الفنانة المغربية عشقها البليغ للون والشكل من خلال رؤى محدّدة في يوميات الفكرة وجموح اللحظة، لتتمظهر نظرتها الخاصة للحياة الأخرى في بحث عن الممكن والمستحيل من داخل إطار اللوحة، الذي يصبح عالما في حد ذاته يرسم حدوده التي لا تنتهي.

وهي في ذلك تعترف أن الفن يمنحها الفرصة للتفاعل مع الآخرين، ويمكنها من إنشاء روابط ومقابلة أشخاص، وهو في نظرها وسيلة ممتازة للاتصال وأداة علاجية أكثر فاعلية.

وتؤكّد "الفن وسيلة للتعبير العلاجي وتوحيد للرابط بين البشر، بغض النظر عن الاختلافات الاجتماعية الثقافية أو الدينية، ولأجل ذلك كنت ولا أزال أمارس الرسم كفعل علاجي لي ولمن حولي على السواء".

> «من العجيب إلى الرائع» معرض جديد لبن حليمة تطرح فيه رؤاها التشكيلية حول المرأة وإمكانيات تحقّقها